مغزى الحياة عند أبي العلاء المعري في ضوء شعره

The fact of life in light of Abul ʹala- al- Muaarī poetry

د.بخت زبير*
د.دوست محمد **

Abstract:

Everyone looks at life from his own angle because every person has his own social, political, and ideological background. Some people look only at the dark side of life and that is why they feel difficulties in life because they look at such things which create tastelessness in peaceful life. These people are blind to the beauties of life and are only focused on the dark side of life. They always complain about life and about those who life. Life, according to them, is all about hardships and tensions and death is the ultimate end. Life according to such people is like a prison that they can come out of only through death. These people are also called pessimists. The Arabic poet Abu al-A'ala al-Marri is one among such pessimist people and this article sheds light on the concept of life in his poetry.

Key words: Abu al-A'ala al-Marri, Fact of life, Poetry

*محاضر قسم اللغة العربية، جامعة اسلاميه كالج ، بشاور
**محاضر قسم اللغة العربية، جامعة اسلاميه كالج ، بشاور

فإن نظرة الإنسان نحو الحياة في هذه الدنيا تختلف من شخص لآخر لاختلاف آرائهم وظروفهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. فمنهم من شاهد ما في الحياة من مصائب وحوادث وانقلابات، فشعر بالضيق والشدة فيها مما جعل لا يرى فيها سوى تلك النكبات التي تكدر صفحة الحياة، ويعمى أن يرى ما فيها من جمال وزينة، فهو بصير ليشاهد الجوانب المظلمة في الحياة ولكنه أعمى من مشاهدة جوانبها المضيئة. وبالتالي نراهم يشتكون ويذمون الحياة ومحبيها، ويفضلون الموت على الحياة، لأنهم يرون الحياة رحلة مليئة بالمشقة والعناء، وهي التي لا تنتهي إلا بالموت. والحياة عندهم سجن لا يخرج منه الإنسان إلا بموته. هؤلاء هم المتشائمون ومنهم شاعرنا أبو العلاء المعري، فيأتي هذا المقال ليلقي الضوء على آرائه المتعلقة بالحياة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

- **نبذة عن الشاعر أبي العلاء المعري:**

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داوود بن المطهر.....1 التنوخي–نسبة إلى تنوخ، وهم قبيلة من اليمن من قضاعة2 من أهل معرة النعمان وإليها ينسب، وهي بلدة بالشام من أعمال حمص بين حلب وحماة.3 واشتهر بكنيته "أبي العلاء"4 ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.[5] وكان اليوم يوم الجمعة عند مغيب الشمس.[6]

أصيب بالجدري صغيرا ففقد بصره في الرابعة من عمره.7 فكان لا يذكر من الألوان إلا الأحمر، لأنهم البسوه ثوبا أحمر عندما جدر.8 وكان بيته بيت علم وقضاء وشعر، إذ ظل قضاء المعرة طويلا فيهم. وطبيعي أن يقتدي بهم فيكب بعد حفظ القرآن الكريم على كتب الدين الحنيف واللغة. وأيضا فإن فقده لبصره مبكرا جعله يعني بطلب العلم وتتلمذ على أبيه أولا ومن في بلدته من تلاميذ ابن خالويه، ولم يلبث حين أخذ ما عندهم جميعا أن رحل إلى حلب وحضر على علمائها وعاد منها وهو في نحو العشرين من عمره9. قال الشعر وهو ابن إحدى عشر سنة.[10]

رحل المعري إلى بغداد في أواخر السنة 398هـ. وبقي بها نحو سنة وسبعة أشهر.11 وكان من أسباب عودته سريعا نشوبة خصومة بينه وبين المرتضى العلوي أخ شريف الرضى بسبب تعصبه للمتنبي، وأيضا كان قد وصله خبر بمرض أمه، فعاد عجلا، ووجدها قد لبت نداء ربها.[12]

وبعد عودته من بغداد ووصوله إلى المعرة لزم بيته فلم يخرج منه، وسمى نفسه رهين المحبسين يعني حبس نفسه في المنزل وترك الخروج منه وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى.13 وأثناء بقائه في بيته كان لا يأكل اللحم، فلم يأكله خمسا وأربعين سنة،14 واختار لنفسه حياة زاهدة وكان طعامه العدس والتين، أو كما يسميها البلسن والبلس رافضا ما وراءهما من طيبات الطعام ولذائذه، ولباسه

خشن الثياب من القطن وفرشه من لباد (صوف) في الشتاء وحصيرة من البردي في الصيف. ولعله صنع ذلك مبالغة في الزهد ورفض طيبات الحياة. ولم يتزوج لأنه كان يحس بعمق آلام الإنسان في دنياه.[15]

عندما لازم بيته في سنة 400هـ، شرع في التصنيف، وأخذ عنه الناس، وسار إليه الطلبة من الآفاق، وكاتبه العلماء والوزراء والفضلاء وأهل الأقدار، واختاروا عليه التصنيفات ففعل، وكان نادرة زمانه.[16] واتفق محبوه ومبغضوه على أنه كان وافر البضاعة من العلم، غريز المادة في الأدب، إماما فيه، حاذقا بالنحو والصرف، نسيج وحده في الذكاء والفهم وقوة الحافظة. أما اللغة وحفظ شواهدها وتقييد أوابدها فقد كان فيها أعجوبة من العجائب.[17] وقالوا عنه أنه كان يلعب النرد والشطرنج،[18] وإذا سمع حديثا بلغة غير العربية حفظه بحذافيره، يقول هبة الله بن موسى المؤيد في الدين: حضرت إلى أبي العلاء واتفق حضور أخي معه فتحدث أخي معي حديثا باللسان الفارسي ثم رجعت إلى أبي العلاء وطلبت منه أن يريني من سرعة حفظه شيئا فقال: خذ كتابا من هذه الخزانة واذكر أوله فإني أورده عليك حفظا. فقلت كتابك ليس بغريب إن حفظته، فقال: قد دار بينك وبين أخيك كلام بالفارسية إن شئت أعدته، فأعاد الحديث أجمع ما أخل بحرف منه، ولم يكن يعرف اللغة الفارسية.[19] قد منح عقلا قويا دائب النشاط يريد ان يطحن كل شيئ يصل إليه ليعرف كنهه.[20]

أما ما يتعلق بمعتقده فلم يختلف الناس في رجل اختلافهم في أبي العلاء، ولا تراوحوا بشخص بين الكفر والإيمان تراوحهم فيه. والمختلفون فيه ثلاثة أقسام:

فريق متزندقون، يكفرونه ويحبونه لكفره، أو مؤمنون يبغضونه لذلك.

وفريق يذهبون إلى صحة إيمانه، وربما تغالوا فألحقوه بالأولياء الصالحين، ورووا له الكرامات.

وآخرون متحيرون أمسكوا عنه، ووكلوا أمره لخالقه.[21]

والذين رأوا الرأي الأول استدلوا له بشكه وتجافيه عن أكل الحيوان، وأنه أراد أن يعارض القرآن بكتابه"الفصول والغايات". أما أصحاب الرأي الثاني فقد استدلوا لصحة إيمانه بما يحتوي عليه أدبه من الإيمان بالله ورسله و..... وقد قيل: أنه تاب وأناب.[22]

توفي أبو العلاء المعري يوم الجمعة ثالث – وقيل – ثاني شهر ربيع الأول، وقيل ثالث عشرة، سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرة. وقد أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت:

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد.

وكان مرضه ثلاثة أيام، ومات في اليوم الرابع، ولم يكن عنده غير بني عمه.[23] ولما مات ختم عند

قبره في أسبوع واحد مائة ختمة، وفي رواية مائتان، واجتمع عليه خلق كثير، وأنشد أربعة وثمانون شاعرا مراثيهم فيه.[24]

- **الحياة ومغزاها عند أبي العلاءالمعري:**

موقف أبي العلاء المعري عن الحياة –مع اختلاف تعبير الدارسين–موقف يستند فيه إلى أدلة وبراهين منطقية كما هو مبني على إدراك عقلي. كما يتفق الدارسون على أن داء التشاؤم قد لحق به، وتشاؤمه هذا حقيقة كان يحياها كل لحظات حياته، لذا كثر ذم الحياة في أدبه لا سيما في شعره. وخلاصة آرائه عن مغزى الحياة وحقيقتها وهي التي تتجلى في شعره عبارة عن أمور:

1– الحياة تعب ومشقة:

يقول أبو العلاء المعري:

على الولد يجني والد ولو أنهم ولاة على أمصارهم خطباء
وزادك بعدا عن بينك وزادهم عليك مقودا أنهم نحساء
يرون أبا ألقاهم ي حورب من العقد ضلت حله أرباء.[25]

إذا: الحياة عنده شر فلننصرف عن هذا الشر، والوجود عنده بؤس فلنجتنب عن أسباب هذا البؤس، والآباء إنما هم جناة على أولادهم مهما بلغوا من علو المنزلة والمكانة، ويزيد جناية الآباء في حق الأولاد وبعدهم عن الأولاد أن يعطي الله عزوجل للأولاد عقلا وذكاءا يستكشفون به هذا الشر الذي طرحهم فيه آباؤهم عندما يمنحهم الوجود.[26]

ويقول:

وجدت الناس كلهم فقير ويعدم في الأنام الأغنياء
نحب العيش بغضا للمنايا ونحن بما هوينا الأشقياء.[27]

أجل: لقد عظم شر هذه الحياة أما حرص الناس فيشتد عليها، فكلهم يحبونها ويشغفون بها حتى جعلهم حرصها كلهم فقراء، ليس من بينهم غني ولا يذوقون نعمة، حتى وهم يقبلون عليها مع ما فيها من شقاء وعناء، ويصرفون عن الموت مع أن الموت خير وسيلة للخروج من صعاب الحياة.[28]

ويقول في نفس المعنى:

وقد بلونا العيش اطواره فما وجدنا فيه غير الشقاء.[29]

ويقول:

حياة عناء وموت عنى فليت بعيد حمام دنا.[30]

هو ينصح أهل الدنيا بتركها فهي دار لا تصلح للعيش، ففيها تنبت الأسقام وماؤها العذب سم ليس فيها يوم بلا مكاره، يقول:

لوكنت رائد قوم ظاعنين إلى دنياك هذي لما ألفيت كذابا
لقلت تلك بلاء نبتها سقم وماؤها العذب سم للفتى ذابا
هي العذاب فجدوا في ترحلكم إلى سواها وخلوا الدار إعذابا[31]

وهو ينصح الناس بعدم الاهتمام بالدنيا وبعدم أخذ ملذاتها فهو لا يرى نعيم الدنيا وملذاتها إلا داءا وسقما. وفي أخذه لمتاع الدنيا هو خائف من شرها المتوقع يقول:

لا تلبس الدنيا فإن لباسها سقم وعر الجسم من أثوابها
أنا خائف من شرها متوقع إكآبها لا الشرب من أكوابها[32]

وهو يرى سرور الدنيا وسعادتها غرورا وجهلا، والخير قليلا جدا بالنسبة للشر الذي هو ألوف كثيرة وهو لا يفرق في هذا بين الغناء والفقر واليقظة والغفلة والعز والذل فكل هذا عنده صور للغرور والخدعة، يقول:

تسمى سرورا جاهل متخرص بفيه البرى، هل في الزمان سرور؟
نعم، ثم جزء من ألوف كثيرة من الخير، والأجزاء بعد شرور
يسار وعدم وادكار وغفلة وعز وذل كل ذلك غرور[33]

وهو يرى الدهر ظالماً ويرى أهل الدنيا لا عقول لهم ويرى الدنيا نارا تشتعل على أهلها وهم في عذاب أليم مستمر لا ينتهي، والسالم في الدنيا مثل الذي يقع في مصيبة ومكروه، يقول:

رب متى أرحل عن عالمي فأنت بالناس خبير عليم
فالمالك المملوك والمؤسر ال مخسر، والسالم مثل السليم

كما يحذر الناس من الاعتماد على الدنيا ومتاعها، فلا يعتمد على طيب الدنيا ولا على سرورها يقول:

إياك والدنيا فإن لباسها يبلي الجسوم وطيبها لا يعبق
ولها هموم بالنفوس لوابق وسرورها بصدورنا لا يبلق[34]

وهو لا يرى في الدنيا إلى الحياة الطيبة سبيلاً إذ يقول:

تأملنا الزمان، فما وجدنا إلى طيب الحياة به سبيلا

ذر الدنيا، إذا لم تحظ منها وكن فيها كثيراً أو قليلا.[35]

وأخيراً يحكم على الحياة حكما قاطعاً ويستغرب من الذي يريد الزيادة في عمره وحياته حيث يقول:

تعب كلها الحياة فما أع جب إلا عن راغب في ازدياد.[36]

2) الحياة فقرو سجن وشر:

الحياة عند أبي العلاء المعري عبارة عن السجن الذي لا ينتهي إلا بالموت وهي فقر وشر، فلنستمع إليه فهو يقول:

رغبنا في الحياة لفرط جهل وفقد حياتنا حظ رغيب
شكا خزز حوادثها وليث فما رحم الزئير ولا الضغيب
شهدت فلم أشاهد غير نكر غيّبني المنى فمتى أغيب.[37]

يقول: نقبل على الحياة ونرغب فيها، والحق أن نرغب في الموت ونحرص عليه فإنما الحياة شر قد أتعب القوي والضعيف، و العزيز والذليل، فيشتكي الأرنب والأسد كلاهما شرها وألمها ، ولكن لا يفيد الأرنب ضغيب، ولا يدفع عن الأسد زئير. شر لا يخلصنا منه إلا الموت، فهل إليه من سبيل؟[38]

كما يرى أن الدنيا منتنة فاسدة لا توزع إلا الشرور وهي بعيدة كل البعد عن الخير، فكيف تتوقع من الدنيا التي لا تعطيك إلا السم، يقول:

دنياك تكنى بأم دفر لم يكنها الناس أم طيب
فأذن إلى هاتف مجيد قام على غصنه الرطيب
يكون عند اللبيب منا أبلغ من واعظ خطيب
يحلف ما جادت الليالي إلا بسم لنا قطيب.[39]

أبو العلاء المعري عندما يتكلم عن القدامى الذين أمضوا حياتهم ومضوا إلى الأجداث والقبور فهو يراهم في أفضل حال من الأحياء فإنهم قد خرجوا من دار الشرور والأحداث، يقول:

لما ثوت في الارض وهي لطيفة قدماؤنا أمنت من الأحداث
لم يستريحوا من شرور ديارهم إلا برحلتهم إلى الأجداث.[40]

وهو يرى أن العيش هو الذي جعل الناس فقراء ومحتاجين أما الموت فهو يغني الناس. يقول:

العيش أفقر منا كل ذات غنى والموت أغنى بحق كل محتاج

إذا حياة علينا للأذى فتحت بابا من الشر لاقاه بإرتاج.[41]

ثم يخبرنا عن تجاربه التي اكتسبها من حياته وعيشه فيقول أنه جرب هذه الدنيا فإن شرورها لاشك تأتي نقداً، أما خيرها فوعود فقط. وهو يجعل الصعود في الدنيا نزلا والنزول فيها صعوداً، حتى نزول الإنسان قبره يراه صعوداً، يقول:

عرفت سجايا الدهر أما شروره فنقد، وأما خيره فوعود

إذا كانت الدنيا كذلك فخلها ولو أن كل الطالعات سعود[42]

وهو يدعو الناس إلى ترك الدنيا وطلاقها فإن الدنيا مثل المرأة الحائض التي لا تطهر من الحيض أبداً. أما لو زاد الناس في طلبها فسيفقدون النفس بعد فقدانهم للدين والراحة، يقول:

تقنع من الدنيا بلمح فإنها لدى كل زوج حائض ما لها طهر

متى ما تطلق تعط مهرا وإن تزد فنفسك بعد الدين والراحة المهر.[43]

ويقول:

وهذه المرة هو يدعو الناس إلى حكم فؤادهم وقلوبهم في الدنيا وحياتها ثم يبين الحكم الفصل بنفسه فيقول بأن كل من راجع قلبه في الأمور المتعلقة بالحياة سيجد الجواب واحداً بأن الحياة شر وليس فيها خير وسرور، يقول:

سل الفؤاد عن الحيا ة فإنها شر وشر

قد نلت منها ما كفا ك فما ظفرت بما يسر.[44]

ثم يرى الحياة الدنيا معدن للمتاعب والشرور ويستغرب من الناس بأنهم ماذا استفادوا من الدنيا والاهتمام بها يقول:

ماذا نستفيد من هذه الدنـ يا بطول الراح والتبكير

شجر العيش معدن للرزايا أودت الطير فيه بالتوكير.[45]

وإن الدنيا –حسب رأيه–تخالف الإنسان في السخط والرضا وإذا أوشك الانسان أن ينالها امتنعت ولذا كل من يردها لينالها فهو جاهل لا يعرف، ألا يرى الناس أن الدنيا لا ترحم الصغير ولا تكرم الشباب ولا ترحم الكباء وتوقرهم. وكل من يطلب الخير فيها لا يجده لأنها خلقت مليئة بالشرور والمتاعب يقول:

تخالفنا الدنيا على السخط والرضا فإن أوشك الإنسان قالت له: مهلا

هي الماء لو أني بعلمي وردته لقلت لنفسي: كان مورده جهلا

فما رئمت طفلا ولا أكرمت فتى ولا رحمت شيخا ولا وقرت كهلا
قطعنا إلى السهل الحزونة نبتغي يسارا فلم نلف اليسير ولا السهلا
فلا تأمل الأيام للخير مرة فليست لخير أن يظن بها أهلا.[46]

كما يجعل الدنيا والعيش فيها ظلمة لا تنتهي. ولذا هو يطلب الموت لتنتهي شقاوة العيش والحياة يقول:

عللاني فإن بيض الأماني فنيت والظلام ليس بفاني.[47]

ثم يقول:

فيا موت زر فإن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل.[48]

3) الدنيا حقيرة ماكرة:

مما لا ريب فيه أن كل من يقرأ لزوميات أبي العلاء المعري يجد جليا أنه أكثر من سب الدنيا وحياتها وقد استعمل لها ألقاب بغيضة وصيغ الشتم والتحقير. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أبا العلاء المعري كان في تعب من الحياة وانقلاباتها، وعدم اطمئنان على أحوالها التي تتغير في كل حين. قال هو يصف الدنيا ومعاملتها مع الناس:

خسست يا أمنا الدنيا فأف لنا بنو الخسيسة أوباش أخساء
وقد نطقت بأصناف العظات لنا وأنت فيما يظن الناس خرساء.[49]

أي أمنا الدنيا إنك لحقيرة ذليلة ونحن قد ورثنا الذل منك فأصبحنا أوباشا أخساء. أنت قد قدمت للناس أصنافا من النصائح والعظات بما أظهرت للناس من شر وعناء مع أن الناس يرونك لا تنطقين.[50]

ويقول:

تحب حياتك الدنيا سفاهة وما جادت عليك بما تحب.[51]

أي: إنما تحبون دنياكم وترونهاحسناء فاتنة، ولكن وعودها كاذبة وعهودها ناقضة، إنكم لتشتاقونها وتتحملون في حبها المكاره والعناء ولكنها لا تعطيكم في المثابة إلا الغم والكآبة.[52]

ثم هو يشبه الدنيا بالجيفة ولو زينت نفسها لمن يحبها، ويشبه الناس الذين يحبونها بالكلاب النابحين على الميتة، الخسران فيها مقدر على أهلها في جميع الحالات. يقول:

أصاح هي الدنيا تشابه ميتة ونحن حواليها الكلاب النوابح

فمن ظل منها آكلا فهو خاسر ومن عاد عنها ساغيا فهو رابح[53]

ويقول وهو يدعو الناس إلى إهانة الدنيا:

نضحتكم أهينوا أم دفر فما يبقى لكم منها نصاح.[54]

ويقول:

وأم دفر فتاة سوء تخبئوني في ثرى مهال
مرسلة غارة بخيل قد غنيت عن هب وهال
وجدت حبي لها قديما قد تبينت مقتها لي.[55]

4) الحياة صروف وانقلابات:

الحياة حسب موقف أبي العلاء المعري عبارة عن الانقلابات والصروف فهي لا تبقى ولا تستمر مع الإنسان في حالة يرضيها بل تنقلب عليه مرة بعد مرة، ومستند موقفه هذا هو الملوك الأقوياء الذين كان لهم صيتا على الأرض وأهلها ولكنهم ما استطاعوا الوقوف أمام انقلابات الحياة. يقول وهو يتكلم عن معد بن عدنان (الجد الأعلى لقريش) وسبأ وإلى أين ذهبوا:

سألت رجالا عن معد ورهطه وعن سبأ ما كان يسبي ويسبأ
فقالوا هي الأيام لم يخل صرفها مليكا يفدى أو تقيا ينبأ[56]

يقول: سألت أناسا من أهل العلم والفكر والأدب والفلاسفة وأهل البصر بحقائق الأشياء عن معد وأصحابه، ماذا جهزوا لالتقاء الأيام والخطوب، وتدابيرهم لتجنب الأحداث، وسألتهم عن سبأ وما ذا كان يسبي من الأعداء عند الحروب، وما ذا كان يسبأ إذا عاد للهوه، وإلام صار بعد هذا كله؟ فقالوا إنما هي الأيام قد خلق الناس مقبلين حكمها، لم تعف من صروفها وحوادثها ملك يفدى بالأنفس والأموال، ولا ورع يدين الناس له بالكرامة أو بالنبوة.[57]

إن دنياك من نهار وليل وهي في ذاك حيه عرماء.[58]

يقول: ألا إن دنياك نهار وليل وهي لا تثبت على حال فهي تشبه الحية الرقطا التي يعجبك جمال ألوانها ولكن في نابها السم القاتل.[59]

وإذا الحوادث جهزت جيشا لها خمدت قريش فيه والأنصار
أناما حججت فكم تحج نوائب شخصي ويفقد عندها الاحصار.[60]

يقول: بأن جيوش الحوادث لا يستطيع أحد أن يقف أمامها حتى ولو تجمعت قريش مع الأنصار في المعارك ضدها. وكيف أحج أنا والحوادث قد حجت على شخصي وعندئذ لا ينفع الامتناع والإحصار. ثم يقول:

حديث فواجر وشراب خمر وقتلى يطرحون لأم عمرو
ومهلك دولة وقيام أخرى كذاك الدهر أمر بعد أمر.[61]

إذا الدهر هو انقراض دولة وقيام أخرى مقامها. والدهر هو الانقلاب في كل حين، وهو يرى أن الوالد يجب أن يذم من قبل الولد فهو الذي طرحه لصروف الدهر التي لا تنتهي وجيوشها مبثوثة في كل زمان ومكان. وهو يخاطب الثعالة بأنها عند ما تلد فلمن تترك الجرو في الدنيا؟ هل هي تدري صروف الحياة؟ وأن جروها مهدد من كل الجوانب يقول:

ليذمم والداً ولد ويعتب عليه فبئس عمري ما سعى له
أتدري والحياة لها صروف بما يلقاه جروك يا ثعاله[62]

وأن الأيام نواطق وهي تضرب الأمثال للصروف والانقلابات، يقول:

افهم عن الأيام فهي نواطق مازال يضرب صرفها الأمثالا
لم يمض في دنياك أمر معجب إلا أرتك لما مضى تمثالا.[63]

ويخاطب الناس وينصحهم بالصبر في الحياة لأن الدهر والأيام تفعل الأعاجيب يقول:

أيا شيعة إسماعيـ يل الصبر قد عيلا
كذاك الدهر والأيا م يفعلن الأفاعيلا.[64]

وهو يشتكي صروف الدهر والحياة إذ يقول:

شكوت من الأيام تبديل غادر بواف، ونقلاً من سرور إلى هم
وحالا كريش النسر، بينا رأيته جناحاً لشهم آمن ريشا على سهم.[65]

وهو يصف صروف الحياة أكثر تفصيلاً في هذه الأبيات:

والدهر إعدام ويسر وإبـ رام ونقض، ونهار وليل
يفني ولا يفنى ويبلي ولا يبلى ويأتي برخاء وويل
لو قال لي مالكه: سمّه ما جزت عن ناجية أو بديل
يدعى الفتى خبا وفيه ندىً وواهبا وهو عديم لنيل.[66]

5) الحياة موت:

لأن نهاية مطاف الحياة هو الموت فهو يرى الحياة بداية وإنباءاً للموت الذي ينزل على كل حي عاش، وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء المعري:

نفر من شرب كأس وهي تتبعنا كأننا لمنايانا أحباء.[67]

يقول: يا ويلنا! إنا لنهرب من الموت، وليس لنا نجاة من الموت، ونحن مع ذلك نصر على الفرار وهو يصر على افتقاء آثارنا، كأنما نحن الأحباء وقع بيننا البعد والافتراق، والموت مثل عاشق مخلص لا يريد أن يتصل بنا بكل الوسائل الممكنة.[68]

والبرايا حازوا ديون منايا سوف تقضى ويحضر الغرماء.[69]

يقول: ألا وإن الإنسان بالموت مدين، ولا بد من أن يفي هذا الدين، وأن يقضي هذا القرض، والموت هو الغريم الذي لا يمكن الرد عنه والتكاسل في حقه.[70]

ثم يقول:

تلتقي في الصعيد أم وبنت وتساوى القرناء والجماء

وأنيق الربيع يدركه القيـ ظ وفيه البيضاء والسحماء[71]

ثم يمثل لذلك بسقراط وبقراط. فإن الموت حينما نزل بهم ما نفعهم علمهم ولا طبهم ولا فصاحتهم يقول:

ولم يدفع ردى سقراط لفظ ولا بقراط حامى عنه طب[72]

وهو يرى أن الإنسان مهما كانت ظروفه، يوما يشرب كأس الموت. وهو يفضل موت الفتى في ميدان القتال على موته بين أهله. كما يبين أن الموت إذا جاء لا أحد يستطيع أن يفر منه يسلك مسلكه شرقا أو غربا. والموت قد هجم على الكسرى في إيوانه فلم تغن عنه ماله وملكه كذلك فعل بقيصر، يقول:

وللموت كأس تكره النفس شربها ولا بد يوما أن تكون لها شربا[73]

وهو يشبه الموت بالأسد المفترس الذي يهجم جميع الأحياء ولا يترك أحدا. وهو يصيد الكركي والعندليب، ولا يترك السهول والجبال فإن له جولات في جميع الأماكن والمناطق. يقول:

والمنايا كالأسد تفترس الأحـ ياء جمعا ولا تعاف الكليبا

مثل ما قيل في جرير أخي القو ل يصيد الكركي والعندليبا

كم سقين الحمام شارب ماء ومدام أو من يسقى حليبا
تفرع الشامخ العنيف من الشمـ ـم وتهوي فتستيح القليبا.[74]

وهو يرى طريق الناس في الموت والحتف واحدا، لا فرق فيه بين الطبيب والمريض. يقول:

فإن طريق الناس في الحتف واحد أكنت طبيبا أم نقيض طبيب.[75]

وهو يحكم بالكذب على الذي يسمى وليده يعيش فإن الأحرى به أن يسميه يموت، فإن نهاية الحياة هو الموت. يقول:

وقد كذب الذي سمى وليدا يعيش وبر من سمى يموت.[76]

ثم هو يقول بأنني علمت علم اليقين أن الموت لا يفرق بين الفقير والغني، والقوي والضعيف:

وقد علمت المنايا غير تاركة ليثا بخفان أو ظبيا بفرتاجا.[77]

أما الدنيا فهي ليست بأهل وديعة حتى نثق بها، فإن كل الإنسان يعيش فيها يموت يوما لا محالة. يقول:

وما هذه الدنيا بأهل وديعة فلا تأتمنها قد عرفت أمارها.[78]

وهو يتعجب من الناس الذين يفرحون بالدنيا وملكها، فإنهم يفرحون وقد نسوا الموت الذي يأتيهم، ولو ذكروه لبكوا بدلا من السرور والضحك. يقول:

أتفرح بالسرير عميد ملك بجهلك والحصول على السريره
ولو قررت فكرك في المنايا إذا لبكيت بالعين القريره
أكل عيشة جسد جرير إلى جدث يسأل عن جريره.[79]

وهو يرى أن الناس إنما يسعون للموت منذ يخلقون. يقول:

وللمنايا سعى السائلون مذ خلقوا فلا تبالي أنص الركب أم أركا
والحتف أيسر والأرواح ناظرة طلاقها من حليل طال ما فركا.[80]

وهو يرى سيف المنية أمضى وأقدر السيوف على الإطلاق إذ يقول:

وسيف المنية أمضى السيوف وما سمعت منه أذن صليلا.[81]

وهو يرى الحياة سلما إلى الموت، يقول:

إن شئت أن تكفي الحمام فلا تعش هذه الحياة إلى المنية سلم.[82]

ونراه هنا يصرح أكثر في جعل الحياة موتا إذ يقول:

رحمتك يا مخلوقة الإنس إنما حياتك موت والمطاعم كالسم.[83]

6) الحياة خسارة.

فالحياة في هذه الدنيا عند أبي العلاء المعري عبارة عن تجارة خاسرة لم يربح فيها أحد قط. فكل أعمالها خسر ونقص. والسبب في ذلك أن مرد أمور الدنيا إلى الموت والفناء. وهو يتعجب من الإنسان الذي يبني البيوت مع أنه في سفر وارتحال، ويطمئن إلى الدنيا ويتعجب أكثر عندما يرى هذا الإنسان وهو يأمل الربح في الدنيا. يقول:

تخيم يا ابن آدم في ارتحال وترقد في ذراك وأنت سار

ويأمل ساكن الدنيا رباحا وليس الحي إلا في خسار.[84]

وهو يطالب أهل الدنيا بإفناء الذخائر والأموال لأن القضاء في انتظارهم وسوف يقضي عليهم، والزمان وأهله مثل السراب الذي لا حقيقة له إنما هو خدعة. والذي يفتخر بأنه يملك ذهبا فهو يذهب ويترك ذهبه. يقول:

أفنو الذخائر فالقضاء مجهز أجناده لخبيئة المذخار

لا تسخرن فما الزمان وأهله إلا سراب تنوفة مسخار

ما فخرهم ولو أنهم ذهب صفا ذهبوا فكيف وهم من الفخار.[85]

ويقول:

فلا تغبطن بعض خدامها فكلهم ذائب في خسار

قدمنا إليها على رغمنا ونخرج من ضنكها باقتسار[86]

References

[1] Alī bin yūsuf al Qafṭī,A´nbā al ruwāt,first edition,1986,Dār al fikr,Al Qāhira,Vol 1Pg:82

[2]Ahmad Taimūr,abu al Muarrī,1940,Lijna al tālīf wa altarjama wa al nashr,Al Qāhira,Pg:10

[3] Ibid,Pg:12

[4] Shoqī,ẓaif,Tarīkh al adab al arabī,Asr al duwwal wa al imārāt Al Shām,second edition,1990,dār al Ma´afif al Qāhira,Pg:16

[5] Yāqūt al Hamavī,Mujam al Adubba,first edition,1993,Dār al Gharb al Islāmī Bairūt,Labnon,Pg:295

[6] Alī bin yūsuf al Qafṭī,al Marja´ al sābiq,Vol 1Pg:83,wa Ahmad Taimūr,Al Marja´ al sābiq Pg:17

[7] Shoqī,ẓaif, al Marja´ al sābiq,Pg:167

[8] Al Ẓahabī,Siyr a´alām al Nubalā´,Pg:167
[9] Shoqī,ẓaif, al Marja´ al sābiq,Pg:167
[10] Afīf Abdul Rahmān,Mujam al Shua´rā al Abbāsīn,first edition,2001,Dar Ṣādir Lil tabāa´t wa al nashr,Pg:524
[11]Shoqī,ẓaif, al Marja´ al sābiq,Pg:167 Yāqūt al Hamavī Mujam al Adubba Vol1,Pg:296
[12]Yāqūt al Hamavī, al Marja´ Al sābiq,Pg:302
[13] Yāqūt al Hamavī, al Marja´ Al sābiq,Pg:303
[14]Ibid
[15]Shoqī,ẓaif, al Marja´ al sābiq,Pg:169 Yāqūt al Hamavī, al Marja´ Al sābiq,Vol 1,Pg:303
[16]Alī bin yūsuf al Qafṭī, al Marja´ al sābiq,Pg:86
[17]Ahmad Taimūr, al Marja´ al sābiq,Pg:29
[18]Shoqī,ẓaif, al Maṣdar al sābiq,Pg:169
[19] Yāqūt al Hamavī, al Marja´ Al sābiq,Pg:306
[20] Ahmad Amīn,Faiz al Khāṭir,Mūassisa Hndawī lil talīm wa saqāfa,Vol 6,Pg:144
[21]Ahmad Taimūr, al Marja´ al sābiq,Pg:29
[22]Anbā al ruwāt,Vol 1,Pg:144,wufiāt al A´yān,Vol 1,Pg:115
[23]Ibn Khalqān,wufyāt al a´yān,1978,Dār ṣādir Bairūt,Vol 1,Pg:115
[24]Ahmad Taimūr, al Marja´ al sābiq,Pg:29
[25]Abu al A´rā al Muarrī, al luzumiāt,Vol 1Pg:55
[26]Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī,Shara al Luzumiāt,Dār al Ma´arif, Misr,Vol 1,Pg:67
[27] Abu al A´rā al Muarrī, al luzumiāt,Vol 1Pg:63
[28]Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī,Shara al Luzumiāt,Vol 1,Pg:102
[29] Abu al A´rā al Muarrī, al Maṣdar al sābiq,Vol 1,Pg:63
[30]Abu al A´rā al Muarrī, al luzumiāt,Vol 1Pg:97
[31] Ibid,Vol 1,Pg:145
[32]Ibid,Vol 1,Pg:200
[33] Ibid,Vol 2,Pg:67
[34] Ibid,Vol 3,Pg:429
[35] Abu al A´rā al Muarrī,Siqṭ al Zanad,Pg:159
[36] Ibid,Pg:8
[37] Abu al A´rā al Muarrī, al luzumiāt,Vol 1Pg:124
[38]Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī,Shara al Luzumiāt,Vol 1,Pg:348
[39]Abu al A´rā al Muarrī, al Maṣdar al Sābiq,Vol 1Pg:191
[40]Ibid,Vol 1,Pg:299
[41] Ibid,Vol 1,Pg:324
[42]Ibid,Vol 1,Pg:394
[43]Ibid,Vol 2,Pg:52
[44] Ibid,Vol 2,Pg121
[45] Ibid,Vol 2,Pg:264
[46]Ibid,Vol 2,Pg:435
[47] Ibid,Vol 3,Pg:94
[48]Ibid,Vol 3,Pg:195
[49] Ibid,Vol 1,Pg:58
[50]Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī,Shara al Luzumiāt,Vol 1,Pg:81
[51] Abu al A´rā al Muarrī, al Maṣdar al Sābiq,Vol 1Pg:117

[52] Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī,Shara al Luzumiāt,Vol 1,Pg:344
[53] Abu al A´rā al Muarrī, al Maṣdar al Sābiq,Vol 1Pg:344
[54]Ibid,Vol 1,Pg:350
[55] Ibid,Vol 3,Pg:20
[56] Ibid,Vol 1,Pg:57
[57]Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī,Shara al Luzumiāt,Vol 1,Pg:77-75
[58] Abu al A´rā al Muarrī, al Maṣdar al Sābiq,Vol 1Pg:69
[59] Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī,Shara al Luzumiāt,Vol 1,Pg:127
[60]Ibid,Vol 2,Pg:97
[61] Ibid,Vol 2,Pg:207
[62] Ibid,Vol 2,Pg:449
[63] Ibid,Vol 2,Pg:494
[64] Ibid,Vol 2,Pg:455
[65]Abu al A´rā al Muarrī, Siqṭ al Zanad,Pg:69
[66]Ibid,Pg:313
[67] Abu al A´rā al Muarrī, al luzumiyāt,Vol 1,Pg:69
[68]Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī, al Maṣdar al sābiq,Vol 1,Pg:127
[69] Abu al A´rā al Muarrī, al Maṣdar al sābiq,Vol 1,Pg:69
[70] Tā hā Hussain wa Ibrahīm al abyārī, al Maṣdar al sābiq,Vol 1,Pg:133
[71] Abu al A´rā al Muarrī, al Maṣdar al sābiq,Vol 1,Pg:72
[72]Ibid,Vol1,Pg:118
[73]Ibid,Vol1,Pg:135
[74]Ibid,Vol1,Pg:157
[75]Ibid,Vol1,Pg:177
[76]Ibid,Vol1,Pg:240
[77]Ibid,Vol1,Pg:317
[78]Ibid,Vol2,Pg:144
[79]Ibid,Vol2,Pg:166
[80]Ibid,Vol2,Pg:359
[81]Ibid,Vol2,Pg:464
[82]Ibid,Vol3,Pg:101
[83]Ibid,Vol3,Pg:137
[84]Ibid,Vol2,Pg:244
[85]Ibid,Vol2,Pg:252
[86]Ibid,Vol2,Pg:266